الحسن الصبّاح، مؤسِّس الدولة الإسماعيليّة في إيران، وصاحب الدعوة الإسماعيليّة النزاريّة المستقلّة. نزِرةٌ هي المعلومات المتعلّقة ببداية حياته، ومرحلة شبابه. أمّا الرواية القائلة إنّ الحسن الصبّاح والخواجة نظام الملك وعمر الخيّام، كانوا زملاءَ دراسة في أحد الكتاتيب في نَيسابور (⟵ رشيدالدين فضل الله، ص 110-111؛ الكاشانيّ، ص 146؛ ميرخواند، مج 4، ص 199؛ خواندمير، مج 2، ص 460)، فليست أكثر من أسطورة، لا مستندَ تاريخيًّا لها. جمعَ مؤلِّفٌ مجهولٌ أحداثَ مرحلة حكم الحسن الصبّاح، أوّل صاحب لقلعة "أَلَموت"، وزعيم إسماعيليّي إيران (الذين كانوا يخاطبونه بـــ سيّدنا)، في كتابٍ عنوانه سيرة سيّدنا، كانت في الواقع بداية سُنّة تأريخيّة عن مرحلة أَلَموت من تاريخ الإسماعيليّين النزاريّين (⟵ النزاريّة*) الإيرانيّين. الجزء الأوّل من هذا الكتاب الذي هو على الأرجح بقلم الحسن الصبّاح نفسهِ سيرة سيّدنا، لا يزال موجودًا، وقد استفاد منه عددٌ من المؤرّخين الإيرانيّين في العصر الإيلخانيّ (عطاالملك الجوينيّ ورشيدالدين فضل الله وعبدالله بن عليّ الكاشانيّ)، ونقلوا فصولًا منه في الأجزاء المخصّصة للحسن الصبّاح في كتبهم التي أرّخوا فيها للإسماعيليّة. إنّ كتبَ هؤلاء المؤرّخين الثلاثة هي أهمُّ المصادر المتوافرة حول الحسن الصبّاح (⟵ دفتري، 1992م/1412هـــ، ص 91- 97؛ نفسه 1996م، ص 370- 381).

ولد الحسن الصبّاح حوالى العام 445هـــ في قمّ، في عائلة شيعيّة إماميّة. والده عليّ بن محمّد بن جعفر الصبّاح الحِميريّ، أصله من الكوفة، لكنّه كان يدّعي أنّ نسبَه حِميريٌّ يمنيّ. كان قد هاجر من الكوفة إلى قمّ، ومن ثمّ انتقل إلى مدينة الرَّيّ، التي كانت من المراكز المهمّة الأخرى للتعاليم الشيعيّة، ولنشاطات الدُّعاة الإسماعيليّين. نشأَ الحسنُ في الرَّيّ وتلقّى تعليمه كشيعيٍّ اثني عشريّ، لكنّه اطّلعَ في السابعة عشرة من عمره على التعاليم الإسماعيليّة من خلال أحد الدُّعاة الإسماعيليّين المدعوّ باسم أميرة الضَّرّاب، ثمّ اطّلعَ على مزيدٍ من تلك التعاليم من داعية آخر اسمُه أبو نصر السرّاج، إلى أنْ اعتنقَ في نهاية المطاف المذهبَ الإسماعيليّ، وأقسمَ قسمَ العهد لإمام الزمان الإسماعيليّ، أي الخليفة الفاطميّ. بعد وقت وجيز في العام 464هـــ أثارَ الحسنُ الصبّاح اهتمامَ ابن عطّاش (الزعيم الإسماعيليّ في ديار

السلاجقة)، الذي كان قد قدِم إلى الرَّيّ، فمنحه ابن عطّاش الذي أدرك مواهبَه وكفاءتَه مقامًا في سلسلة مراتب الدعوة الإسماعيليّة. في العام 467هـ صحِبَ الحسنُ الصبّاح ابنَ عطّاش إلى إصفهان (المركز السرّيّ للدعوة الإسماعيليّة في إيران)، وفي العام 469هـ، توجّهَ بناءً على نصيحة ابن عطّاش إلى القاهرة، عاصمة الفاطميّين، لينالَ مزيدًا من التعليم. دخل القاهرة في صفر من العام 471هـ. في ذلك الحين، كان بدرُ الجماليّ* أميرُ الجيوش ووزيرُ الفاطميّين، قد أصبح داعي الدُّعاة، خليفةً للمؤيّد* في الدين الشيرازيّ. لا تتوافرُ معلوماتٌ كافية عن السفرات الثلاث مدّة إقامة الحسن الصبّاح في مصر. أقام في بداية الأمر في القاهرة، ثمّ في الإسكندريّة، ولم يحظَ برؤية المستنصر بالله. ويبدو أنّ الحسنَ في مصرَ قد اختلف مع بدر الدين الجماليّ فغادر القاهرةَ إلى الإسكندريّة مركزِ المعارضين لبدر الجماليّ (← الجوينيّ، مج 3، ص 181- 191؛ رشيدالدين فضل الله، ص 97- 103؛ الكاشانيّ، ص 133- 137؛ حافظ أبرو، ص 191- 193). بناءً على ما ورد في المصادر النزاريّة ونقله المؤرّخون الإيرانيّون، كان الصراعُ بين الحسن وبدر الجماليّ مصدره قضيّة خلافة المستنصر بالله، وذلك أنّ الحسنَ أعلن تأييده لوليّ العهد، أي نزار (← الجوينيّ، مج 3، ص 190- 191؛ رشيدالدين فضل الله، ص 101- 102؛ الكاشانيّ، ص 137؛ حافظ أبرو، ص 193). هنالك روايةٌ أخرى (← ابن الأثير، مج 10، ص 237؛ رشيدالدين فضل الله، ص 77؛ الكاشانيّ، ص 114؛ المقريزيّ، مج 2، ص 323، مج 3، ص 15)، تقول إنّ المستنصر بالله شخصيًّا كان قد قال للحسن، إنّ نزار هو الذي سيخلفه. في كلّ الأحوال، طُرد الحسن في نهاية المطاف من مصرَ، وعاد في ذي الحِجّة من العام 473هـ إلى إصفهان (الجوينيّ، مج 3، ص 191؛ رشيدالدين فضل الله، ص 103).

يبدو أنّ الحسنَ في أثناء إقامته في مصرَ قد تعلّمَ أشياءَ، استخدمها في ما بعدُ في تدوين سياسته الثوريّة، فقد كان على يقينٍ أنّ الدولةَ الفاطميّة آيلةٌ إلى الانهيار، وليس لديها القدرات اللّازمة لمساعدة إسماعيليّي إيران في مقاومتهم للسلاجقة الأتراك. بعد عودته، أمضى الحسنُ تسعَ سنواتٍ يسافر في أنحاء إيران بصفته داعيةً إسماعيليًّا، وفي هذه الحقبة رسم سياسته

الثوريّة، وأجرى تقويمًا لقدرات السلاجقة العسكريّة في مختلف المناطق (← الخراسانيّ الفدائيّ، ص 89- 90)، ظلّ اهتمامُه حتّى العام 480هـ منصبًّا على الولايات الساحليّة لبحر مازندران، لا سيّما منطقة الدَّيْلَم* الجبليّة. فهذه المنطقة كانت منذ زمن بعيد ملجأً العلويّين والشيعة، وبعيدةً من مراكز سلطة السلاجقة في وسط إيران وغربيّها؛ فضلًا عن أنّ الدعوة الإسماعيليّة كانت قد انتشرت إلى حدٍّ ما في بلاد الدَّيْلَم، التي كانت حصنَ الشيعة الزَّيديّة. في ذلك الحين رسم الحسنُ الصبّاح خطَّةً للتمرّد على السلاجقة، وكان يبحثُ عن مكانٍ مناسب، يقيم فيه مقرَّ عمليّاته. ولهذه الغاية اختارَ في النهاية قلعةَ أَلَموت في منطقة رودبار.

في ذلك الوقت، كانت الدعوة الإسماعيليّة في إيران لا تزال بقيادة عبدالملك بن عطّاش، لكنّ الحسنَ الذي كان قد أصبح داعيةَ الدَّيلَم، اعتمد سياسةً مستقلّة، (دفتري، 1996م/1417، ص 385- 386). أرسلَ الحسنُ، للاستيلاء على قلعةَ أَلَموت، التي كانت في تلك الآونة في أيدي عمّال السلاجقة، عددًا من الدُّعاة الحاذقين إلى تلك الناحية، ليُدخلوا أهالي تلك الناحية في المذهب الإسماعيليّ. في الوقت نفسِه، استدعى الإسماعيليّين من أماكنَ أخرى، وأسكنهم في أَلَموت. في رجب من العام 483هـ اختبأ في قلعة ألموت وظلَّ لمدّةٍ يخفي هُويّتَه، وكان يعلّم أطفالَ حرس القلعة بصفته معلّمًا اسمُه دهخدا، واعتنقَ عددٌ كبيرٌ من الحرس المذهبَ الإسماعيليَّ. حين وصل عددُ مريدي الحسن داخل القلعة وخارجَها إلى الحدِّ المطلوب، سقطت القلعةُ في أيديهم بسهولة، في أواخر خريف العام 483هـ (← الجوينيّ، مج 3، ص 191- 195؛ رشيدالدين فضل الله، ص 103- 105)، كان احتلالُ القلعة بدايةَ مرحلة الثورة المسلّحة لإسماعيليّي إيران في وجه السلاجقة، وكان إيذانًا لتأسيس ما عُرفَ في ما بعدُ بحكومة الإسماعيليّة النزاريّة المستقلّة.

كان لدى الحسن الصبّاح في ثورته على السلاجقة، مجموعةٌ معقّدة من الدوافع المذهبيّة- السياسيّة، فلقد كان كشيعيٍّ إسماعيليٍّ معارضًا لسياسات السلاجقة- الذين أقسموا كونهم الحُماة الجدد لأهل السنة، على إسقاط الدولة الإسماعيليّة الفاطميّة- المعادية للشيعة،

وكان يشكو من ظلم عمّال مَلِكشاه السلجوقيّ والوزير نظام الملك (← رشيدالدين فضل الله، ص 112، الكاشانيّ، ص 148). ما أن استقرّ الحسنُ الصبّاح في أَلَموت حتّى شرعَ بترميم التحصينات وزيادتها، وكذلك مخازن المؤن، فجعل من ألَموت من الناحية الدفاعيّة والاكتفاء الذاتيّ قلعةً حصينةً عصيّةً على الاحتلال، وبإمكانها الصمود مهما طال أمدُ الحصار، امتحانًا نجحت في اختباره في ما بعدُ أكثر من مرّة. وسّعَ الحسنُ في ما بعدُ نطاقَ نفوذه إلى جميع أنحاء رودبار والمناطق المجاورة لها في الدَّيْلَم، ودفع أعدادًا كبيرة من السكّان على اعتناق المذهب الإسماعيليّ، واحتلّ قلاعًا أخرى، أو شيّد قلاعًا جديدةً. وأنشأ في أَلَموت مكتبةً قيّمة، ظلّت تتزايد أعدادُ مجموعات الكتب والأدوات العلميّة فيها إلى آونة الاجتياح المغوليّ، وتهديم أَلَموت في العام 654هـــ، لم يمضِ وقتٌ طويل، وإذا بالقوّات السلجوقيّة المحلّيّة بقيادة الأمير يورنتاش، الذي كانت نواحي أَلَموت من ضمن إقطاعه، تهاجم القلعة، ومنذئذٍ دخل إسماعيليّو إيران صراعاتٍ عسكريّة طويلة الأمد مع السلاجقة (← الجوينيّ، مج 3، ص 199- 204، 214، رشيدالدين فضل الله، ص 107- 109، الكاشانيّ، ص 143- 145؛ هيلن براند[1]، ص 205- 220).

في العام 484هـــ أرسل الحسنُ، أحدَ الدُّعاة، واسمُه حسين قائمي إلى قهستان، في الجنوب الشرقيّ من خُراسان، ليأتي بمساعدات للتحرّك. وسرعان ما انتفضَ أهالي قهستان وهبّوا هبّةَ رجلٍ واحد في وجه السلاجقة، وسيطروا على عدّة مدن رئيسيّة مثل: قائن، وطبس، وتون وزون). وهكذا استطاعَ الإسماعيليّون في قهستان، كالإسماعيليّين في رودبار، انْ يثبّتوا استقلالهم عن السلاجقة، لتصبحَ تلك المنطقة، الموطنَ الثاني الرئيسيّ لإسماعيليّي قهستان، وكان يديره قائدٌ ينصّبه زعيم أَلَموت، ويُسمّى المحتَشَم. في تلك الآونة شكّلَ الحسنُ الصبّاح في رودبار وقهستان حكومةً مستقلّة للإسماعيليّي إيران، وبدأ بمحاربة السلاجقة (← الجوينيّ، م. ن، ص. ن؛ منهاج سراج، مج 2، ص 183- 185؛ رشيدالدين فضل الله؛ الكاشانيّ؛ هيلين براند، صص. ن). في العام 485هـــ وجّهَ مَلِكشاه بناءً على نصيحة نظام

[1] -Hillen brand

الملك حملةً لمحاربة الإسماعيليّين في رودبار وقهستان، لكنّ الحملةَ لم تُحقِّقْ أغراضَها، لموتِ مَلِكشاه ونظام الملك في السنة نفسها. هذه الصدفةُ وصراعُ أبناءِ مَلِكشاه على خلافته، جعلت الحسنَ يجدُ الفرصةَ مؤاتيةً لتثبيت موقعه وبسط سلطته، وقد سيطرَ الإسماعيليّون على قلعة كرد كوه وغيرها من القلاع في ضواحي دامغان والأقسام الشرقيّة من جبال البرز (في منطقة قومس)، وعدّة قلاعٍ في نواحي أرَّجان، والمنطقة الحدوديّة بين ولايتَي خوزستان وفارس. كان قائدُ الإسماعيليّة في أرَّجان يُدعى أبو حمزة، وكان كالحسن الصبّاح قد أمضى عدّة سنواتٍ في مصرَ، لإكمال دراسته. في رودبار أيضًا استولى الإسماعيليّون على عدد كبيرٍ من القلاع، أهمّها لَمَسَر/ لَنبَسر في الجهة العليا من شاهرود، وفي غربيّ أَلَموت (← ابن الأثير، مج 10، ص 319، الجوينيّ، مج 3، ص 207- 208؛ رشيدالدين فضل الله، ص 116- 119؛ الكاشانيّ، ص 145، 146، 151- 155، 158). في العام 419هـ احتلَّ كيا بزرك أميد* خليفةُ الحسن قلعةَ لَمسر (← رشيدالدين فضل الله، ص 115- 116؛ الكاشانيّ، ص 150- 151)، أو بحسب قول الجوينيّ (مج 3، ص 208- 209) في العام 495هـ، وظلّ حاكمًا لها، إلى حين استدعائه إلى أَلَموت ليصبحَ خليفةَ الحسن.

وجّهَ الإسماعيليّون أنظارَهم إلى النواحي القريبة من مقرّ السلاجقة في إصفهان. في هذه المنطقة، كانت قيادة الإسماعيليّة في يد أحمد، ابن عبدالملك بن عطّاش الذي أحرزَ بعد احتلال قلعة شاه دز/ دژ [دج] في العام 494هـ، نصرًا مؤزّرًا في قصبة إصفهان، بحيث أنّ ما يُقاربُ ثلاثين ألف شخص في منطقة إصفهان اعتنقوا المذهبَ الإسماعيليّ (←ظهيري النَّيسابوريّ، ص 40، الراونديّ، ص 154- 157؛ رشيدالدين فضل الله، ص 120، الكاشانيّ، ص 156).

ابتكرت انتفاضةُ إسماعيليّي إيران، نظرًا للظروف، ومنها هيكليّة السلطة في الدولة السلجوقيّة، أساليبَ مقاومةٍ خاصّة. كان الحسنُ الصبّاح مدركًا منذ البداية لماهيّة الدولة السلجوقيّة غير المركزيّة، وكان يعلمُ جيّدًا، أنّه لن يكونَ هنالك سلطانٌ قويّ بعد مَلِكشاه، وعليه أن يُطيحَ به، بواسطة جيشٍ لَجب. كانت السلطةُ السياسيّة والعسكريّة للسلاجقة

مقسّمةً بشكلٍ عامّ بين عدد كبير من الأمراء، يملك كلّ واحد منهم ناحيةً كإقطاعٍ له (←ابن الأثير، مج 10، ص 211، 317، 319؛ ظهيري النَّيسابوريّ، ص 30- 33. لذلك، سعى الحسنُ الصبّاح أن يستوليَ على النواحي التي يحكمها السلاجقةُ واحدةً بعد الأخرى من خلال سيطرته على عددٍ من قلاع السلاجقة المنيعة. كان آمرو تلك القِلاع يتلقّون الأوامر العامّة من أَلَموت، لكنّهم يتصرّفون بحرّيّةٍ في أماكن عملهم. كان اتّخاذُ سياسة قتل الشخصيّات العسكريّة والسياسيّة- الدينيّة أيضًا، نتيجةً لعدم تمركز سلطة السلاجقة. كان الحسنُ الصبّاح يستخدم لهذا الغرض أسلوبًا استخدمه قبلَه وفي عصره أيضًا جماعاتٌ مختلفة، منهم الغُلاة والخوارج والسلاجقة أنفسُهم. لكنّ هذا الأسلوب نُسب إلى إسماعيليّي إيران والشام على نحوٍ فيه الكثير من المغالاة، ولذلك كانت أيّ حادثةِ قتلٍ مهمّة تحدث في عصر أَلَموت في أحد مراكز العالم الإسلاميّ الرئيسيّة، تُنسبُ إلى الفدائيّين الإسماعيليّين (← هاجسن[1]، ص 77- 89، 110- 115، لوئيس[2]، ص 125- 140).

في الوقت الذي كانت فيه انتفاضةُ إسماعيليّي إيران بقيادة الحسن الصبّاح، تزدادُ فاعليّةً ويتّسعُ نطاقُ عمليّاتها، توفّيَ المستنصر بالله (الخليفة الفاطميّ والإمام الإسماعيليّ) في العام 487هـ في القاهرة، ودبَّ النزاعُ على خلافته، وانقسمَ الإسماعيليّون إلى فرعَين: النزاريّة والمستعلويّة (←المستعلويّة*). كانت قد مضت عدّة سنوات على اعتماد الحسن الصبّاح سياسةً ثوريّة مستقلّة، وتولّي زعامةَ الإسماعيليّين في ديار السلاجقة، وفي النزاع على خلافة المستنصر بالله دعمَ حقَّ نزار ودعواه. كان نزار في الأصل وليَّ عهد المستنصر، لكنّ الأفضلَ، الوزيرَ الفاطميَّ القديرَ حرمه من حقوقه وليًّا للعهد. وقد قُتل نزار في العام 488هـ (←ابن الأثير، مج 10، ص 237- 238؛ حافظ أبرو، ص 163- 164). قطعَ الحسنُ الصبّاح مباشرةً علاقاته بالدولة الفاطميّة، وبالجهاز المركزيّ للدعوة الإسماعيليّة في القاهرة، الذي كان حينَها قد التزمَ بخدمة الدعوة المستعلويّة، وهكذا لم يعترف بإمامة المستعلي، الذي أُجلس على العرش الفاطميّ، خليفةً للمستنصر بالله؛ متّخذًا القرارَ بتأسيس الدعوة النزاريّة المستقلّة، لكنْ

[1] -Hadgson
[2] -Lewis

في أثناء حياته، لم يُصَرِّح على الإطلاق باسم خليفة نزار. منذ ذلك الحين، اشتُهر إسماعيليّو إيران باسم النزاريّة أيضًا، و لم يكن لهم حينئذٍ إمام، وجرّبوا مرّةً أخرى عصرَ الغيبة (عصر غيبة إمامهم)، كحالهم قبل تأسيس الدولة الفاطميّة. في مثل هذا الوضع، كان الحجّةُ نائبَ الإمام المطلق الصلاحيّة. وقد عدّ النزاريّون في عصر الغيبة الحسنَ الصبّاح حجّةَ إمامهم الغائب. الحسنُ أيضًا الذي كان يتنبّأُ بقرب ظهور الإمام الغائب، عدّ نفسَه حجّتَه (أبواب بابا سيّدنا السبعة، ص 21- 22؛ دفتري 1996م/1417هـ، ص 400- 403). ظلّ اسمُ نزار لما يقارب سبعينَ عامًا بعد وفاته يُحفر على النقود المضروبة في ألَموت، والدعاء لذرّيّته من دون ذكر اسمِ أيٍّ منهم، والسلام عليه وعليهم (← مايلز[1]، ص 155- 158).

خارج جماعة إسماعيليّة إيران، وبعد أنْ بدأت نشاطات الحسن الصبّاح الثوريّة، تولّدَ الشعور بأنّ إسماعيليّي إيران قد بدأوا دعوةً جديدةً مقارنةً بالدعوة الإسماعيليّة القديمة في العصر الفاطميّ. في حين أنّ الدعوة الجديدة لم تُبشِّر بعقائدَ مستحدثة، وإنّما كانت شارحةً للعقيدة القديمة، ذات التاريخ الطويل في أوساط الإسماعيليّة، أي التعليم من خلال علوم موثوقة، يعلّمها معلّم صادقٌ، وكانت في ذلك الحين تُعرضُ بإسلوبٍ مستحدَث. نُسبت هذه العقيدةُ إلى الحسن الصبّاح الذي كان متكلِّمًا عالمًا، ومطّلعًا على القواعد الفلسفيّة وقد وضَّحَ هو نفسُه هذه النظريّة على نحوٍ جدّيّ وجديد في رسالةٍ كلاميّة باللّغة الفارسيّة، عنوانُها الفصول الأربعة، هذه الرسالة مفقودة. لكنّ المؤرّخين الإيرانيّين اطّلعوا عليها وشرحوها (←الجوينيّ، مج 3، ص 195- 199؛ رشيدالدين فضل الله، ص 106- 107؛ الكاشانيّ، ص 142- 143؛ الخُراسانيّ الفدائيّ، ص 96- 99). نقلَ الشهرستانيّ أيضًا، وهو من معاصري الحسن الصبّاح، ومطّلعٌ على العقائد الإسماعيليّة، فصولًا من هذه الرسالة (← مج 1، ص 195- 198).

شرحَ الحسنُ الصبّاح في هذه الرسالة نظريّةَ التعليم الشيعيّة، في أربع قضايا، شرحًا جديدًا، وقد أسّسَ فيها لقاعدةٍ منطقيّة لشرح قضيّة مرجعيّة معلّم صادق، بصفة مرشدٍ روحيٍّ

[1] -Miles

للبشر، بدلًا من العلماء المتعدّدين لدى أهل السنّة، وبناءً على هذه القاعدة، لا يمكن أن يكونَ هذا المعلّم الصادق شخصًا غير إمام الزمان الإسماعيليّ. أثارَ نشرُ هذه العقيدة حنقَ مؤسّسة أهل السنّة الفقهيّة، والخلافة العبّاسيّة؛ ولهذا الغرض أمرَ الخليفة العبّاسيّ المستظهر، الإمام الغزّاليّ أن يكتبَ رسالةً جامعة في الردّ على الباطنيّة* (الإسماعيليّة) (← الغزّاليّ، ص 3- 5). في هذ الرسالة التي كتبها الغزّاليّ قُبيل العام 488هـــ، والتي عُرفت في ما بعدُ بالمستظهريّة، رفضٌ لعقيدة التعليم. في كلّ الأحوال، منذ ذلك الحين، اشتُهر إسماعيليّو إيران أيضًا باسم التعليميّة. وهذا الأمر يدلّ إلى أيّ مدًى كانت عقيدة التعليم مهمّة لديهم. في الحقيقة، صارت عقيدةُ التعليم، مع التأكيد على مرجِعيّة التعليم المستقلّ لكلّ إمام في عصره، هي العقيدة المحوريّة لنزاريّي عصر أَلَموت (دفتري، 1996م/1417هـــ، ص 254- 425).

في عصر السلطان بركيارق*، استمرّت العقيدة الإسماعيليّة في إيران كذلك بالانتشار، ووصلت إلى قرب إصفهان، عاصمة السلاجقة. في مثل هذه الأوضاع والظروف، دبّ الذعرُ في قلب بركيارق في غربيّ إيران، وفي قلب السلطان سنجر في شرقيّها، من قوّة الإسماعيليّة المتزايدة يومًا بعدَ يوم. فاتّفقا في العام 494هـــ، أن يتصدَّيا، كلّ واحدٍ منهما في منطقة نفوذه، للإسماعيليّين بشكلٍ حاسم، ولكنْ إلى حين موت بركيارق في العام 498هـــ، كان الحسنُ الصبّاح قد استطاعَ، أن يوسِّعَ نطاقَ نشاطه في إرسال الدُّعاة الإيرانيّين، إلى الشام (← ابن القلانسيّ، ص 151- 156؛ ابن الأثير، مج 10، ص 314، 324، رشيدالدين فضل الله، ص 120- 122؛ الكاشانيّ، ص 156- 158).

بادرَ السلطانُ محمّد بن مَلِكشاه السلجوقيّ، خليفةُ بركيارق، على نحوٍ حاسمٍ إلى محاربة الإسماعيليّة، فأرسلَ جيشًا لجبًا إلى أَلَموت، وحاصرَ شخصيًّا مع جنوده قلعةَ شاهدر، وكانت النهاية أنّه انتزعها من أيدي الإسماعيليّة في العام 500هـــ، وأنهى نفوذهم في منطقة إصفهان (← ابن القلانسيّ، ص 244- 250؛ الجوينيّ، ص 211- 213؛ رشيدالدين فضل الله، ص 124- 132؛ الكاشانيّ، ص 156-157، 160- 167). بعد موت السلطان محمّد بن مَلِكشاه في العام 511هـــ، احتدمَ الصراع الداخليّ من جديد بين

السلاجقة على خلافته، وهذا ما منح نزاريّي إيران فرصةً لتعويض خسائرهم السابقة. حتّى السنوات الأخيرة من عمر الحسن الصبّاح، فقدت ثورة الإسماعيليّين النزاريّين ضدّ السلاجقة زخمها السابق، فمن ناحيةٍ، فشلت الحملات الطويلة المدّة التي شنّها السلاجقة لطرد الإسماعيليّين من قلاعهم، وكان هؤلاء تمكّنوا من احتلال قلاعٍ أخرى عديدة، كما احتفظوا بقلاعهم في روباد وقومس وقهستان. لذلك، بدأت حينها مرحلةٌ جديدةٌ يمكن أن نسمّيها عصر التوقّف (رشيدالدين فضل الله، ص 131- 132؛ دفتري 1996م/1417هـ، ص 418- 419).

كان الحسن الصبّاح متكلّمًا وفيلسوفًا وعالِمًا فلكيًّا، وكان متبحّرًا في الإدارة، والتدبير السياسيّ والتنظيم العسكريّ. كان يعيشُ حياةَ زهدٍ، وصار أسلوبُ حياته قدوةً يحتذيها النزاريّون الآخرون. ظلّ في أَلَموت أكثرَ من ثلاثين سنة، وقيل أنّه لم يخرج منها أبدًا، وكان يبقى دائمًا في غرفته الصغيرة، متفرّغًا لمطالعةِ الكتب، ووضعِ تعاليم الدعوة الإسماعيليّة النزاريّة، وإدارةِ أمور الدولة الإسماعيليّة. كان شديدَ الدقّة في اتّباع الأحكام الشرعيّة، متشدِّدًا مع الصديق والعدوّ على حدٍّ سواء. كان للحسنِ الصبّاح ابنان، وقد أدّب الاثنين، الأوّلَ لشربه الخمرةَ، والثاني بتهمة المشاركة في قتل الداعية حسن القائنيّ، وقد عُرِفَ في ما بعدُ أنّ التهمةَ باطلةٌ (←الجوينيّ، مج 3، ص 209- 210). كان الحسنُ ذا صفاتٍ استثنائيّة، قائدًا، وعلى الرَّغم من هزائمه المختلفة، لم يتخلَّ مطلقًا عن إيثاره وأهدافه، وتمكّنَ من إنشاء الدولة والدعوة النزاريّتَين، وأن يقودهم في السنوات الأولى الشديدة الاضطراب.

حين أحسّ الحسنُ الصبّاح بقرب أجله، استدعى كيا بزرك أميد من لَمسر، وجعله داعيةَ الدَّيلَم وخليفتَه في أَلَموت. توفّيَ الحسن الصبّاح في ربيع الآخر من العام 518هـ، على إثر مرضٍ لم تطُل مدّتُه ووُوريَ الثرى بالقرب من قلعة أَلَموت. كانت مقبرةُ الحسن الصبّاح- التي دُفن فيها أيضًا في ما بعد كيا بزرك أميد، وآخرون من قادة نزاريّة إيران، إلى حين هدمها بأيدي المغول- مزارَ الإسماعيليّين النزاريّين (←ابن الأثير، مج 10، ص 625؛

الجوينيّ، مج 3، ص 215- 216؛ رشيدالدين فضل الله، ص 133- 134؛ الكاشانيّ، ص 168).

المصادر والمراجع: ابن الأثير؛ ابن القلانسيّ، تاريخ دمشق، ط. سهيل زكّار، دمشق 1403ه/ 1983م؛ الجوينيّ، عبد الله بن لطف الله حافظ أبرو، مجمع التواريخ السلطانيّة، ط. محمّد مدرّسي الزنجانيّ، طهران 1364ش [1985م]؛ محمّد بن زين العابدين الخراسانيّ الفدائيّ، كتاب تاريخ الإسماعيليّة، أو، هداية المؤمنين الطالبيّين، ط. ألكسندر سميونوف، [طهران] 1362ش [1983م]؛ خواندمير؛ فرهاد دفتري، تاريخ وعقايد اسماعيليه، ترجمه بالفارسيّة فريدون بدره اى، طهران 1375ش [1996م]؛ محمّد بن عليّ الراونديّ، راحة الصدور وآية السرور، ط. محمّد إقبال، لندن 1921م؛ رشيدالدين فضل الله، جامع التواريخ: قسم الإسماعيليّين والفاطميّين والنزاريّين والدُّعاة والرِّفاق، ط. محمّد تقي دانش بجوه ومحمّد مدرّسي الزنجانيّ، طهران 1356ش [1977م]؛ محمّد بن عبد الكريم الشهرستانيّ، الملل والنِّحل، ط. عبد العزيز محمّد الوكيل، القاهرة 1387هــ/ 1968م؛ ظهير الدين الظهيريّ النَّيسابوريّ، سلجوقنامة [تاريخ السلاجقة]، طهران 1342ش [1963م]؛ محمّد بن محمّد الغزّاليّ، فضائح الباطنيّة، ط. عبد الرحمٰن بدوي، القاهرة 1383هــ/ 1964م؛ عبد الله بن عليّ الكاشانيّ، زبدة التواريخ: فصل الفاطميّين والنزاريّين، ط. محمّد تقي دانش بجوه، طهران 1366ش [1987م]؛ أحمد بن عليّ المقريزيّ، اتّعاظ الحُنفاء بأخبار الأئمّة الفاطميّين الخلفاء، مج 2، ط. محمّد حلمي محمّد أحمد، مج 3، ط. مج 3، ط. محمّد حلمي محمّد أحمد، القاهرة 1393هــ/ 1973م؛ عثمان بن محمّد منهاج سراج، طبقات ناصري، أو تاريخ إيران والإسلام، ط. عبد الحيّ حبيبي، طهران 1363ش [1984م]؛ ميرخواند؛ هفت باب بابا سيدنا [أبواب بابا سيّدنا السبعة]، في رسالتَين مختصرتَين في حقيقة مذهب الإسماعيليّة، أي هفت باب بابا سيدنا ومطلوب المؤمنين، [أبواب بابا سيّدنا ومؤمّل المؤمنين، السبعة]، ط. و. إيفانوف، بومباي 1932م.

/فرهاد دفتري/